[الثالث] إن ذلك تأكيد محض [وثم قول رابع] نصره أبو العباس ابن تيمية في بعض كتبه ، وهو أن المراد بقوله ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ نفي الفعل لأنها جملة فعلية ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ نفي قبوله لذلك بالكلية لأن النفي بالجملة الاسمية آكد ، فكأنه نفي الفعل وكونه قابلاً لذلك ، ومعناه نفي الوقوع ونفي الإمكان الشرعي أيضاً ، وهو قول حسن أيضاً ؛ والله أعلم ، وقد استدل الإمام أبو عبد الله الشافعي وغيره بهذه الآية الكريمة ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ على أن الكفر كله ملة واحدة . فورث اليهود من النصارى وبالعكس إذا كان بينهما نسب أو سبب يتوارث لأن الأديان ماعدا الإسلام كلها كالشيء الواحد في البطلان . وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم توريث النصارى من اليهود ، وبالعكس لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ «لا يتوارث أهل ملتين شتى» . آخر تفسير سورة قل يأيها الكافرون .

سُورَةُ النَّصْرِ

ترتيبها ١١٠ — آياتها ٣

قد تقدم أنها تعدل ربع القرآن ، وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن . وقال النسائي : أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، أخبرنا جعفر عن أبي العميس وأخبرنا محمد بن سليمان ، حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو العميس عن عبد المجيد بن سهيل عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : قال لي ابن عباس : ياابن عتبة ، أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت ؟ قلت : نعم ، ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ قال صدقت . وروى الحافظان أبو بكر البزار والبيهقي من حديث موسى بن عبيدة البريدي عن صدقة بن يسار عن ابن عمر قال : أنزلت هذه الصورة ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ على رسول الله ﷺ أوسط أيام التشريق ، فعرف أنه الوداع فأمر براحلته القصواء فرحلت ، ثم قام فخطب الناس فذكر خطبته المشهورة وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا الأسقاطي ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد بن العوام عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة وقال «إنه قد نعيت إلي نفسي» فبكت ثم ضحكت وقالت : أخبرني أنه نعيت إليه نفسه فبكيت ثم قال «اصبري فإنك أول أهلي لحاقاً بي» فضحكت ، وقد رواه النسائي كما سيأتي بدون ذكر فاطمة .

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

قال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال : لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن قد علمتم ، فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليريهم ، فقال: ماتقولون في قول الله عز وجل ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ ؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لي : أكذلك تقول ياابن عباس ؟ فقلت : لا ، فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له ، قال ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فذلك علامة أجلك ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾ فقال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها إلا ماتقول ، تفرد به البخاري . وروى ابن جرير عن محمد بن حميد عن مهران عن الثوري عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس ، فذكر مثل هذه القصة أو نحوها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿إذ جاء نصر الله والفتح﴾ قال رسول الله ﷺ : «نعيت إلي نفسي» فإني مقبوض في تلك السنة ، تفرد به أحمد : وروى العوفي عن

ابن عباس مثله وهكذا قال مجاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد إنها أجل رسول الله ﷺ نعي إليه . وقال ابن جرير : حدثني إسماعيل بن موسى ، حدثنا الحسن بن عيسى الحنفي عن معمر عن الزهري عن أبي حازم عن ابن عباس قال : بينما رسول الله ﷺ في المدينة إذ قال «الله أكبر ! الله أكبر ! جاء نصر الله والفتح ! جاء أهل اليمن ـ قيل يارسول الله وما أهل اليمن ؟ قال ـ قوم رقيقة قلوبهم ، لينة طباعهم ، الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية» ثم رواه ابن عبد الأعلى عن ابن ثور عن معمر عن عكرمة مرسلاً . .

وقال الطبراني : حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا أبو كامل الجحدري ، حدثنا أبو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ حتى ختم السورة قال : نعيت لرسول الله ﷺ نفسه حين نزلت ، قال : فأخذ بأشد ماكان قط اجتهاداً في أمر الآخرة ، وقال رسول الله ﷺ بعد ذلك «جاء الفتح ونصر الله ، وجاء أهل اليمن» فقال رجل : يارسول الله وما أهل اليمن ؟ قال «قوم رقيقة قلوبهم ، لينة طباعهم ، الإيمان يمان ، والفقه يمان» . وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ علم النبي ﷺ أنه قد نعيت إليه نفسه ، فقيل إذا جاء نصر الله والفتح السورة كلها ، حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين أن عمر سأل ابن عباس عن هذه الآية ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ قال : لما نزلت نعيت إلى رسول الله ﷺ نفسه .

وقال الطبراني : حدثنا إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي ، حدثنا أبي ، حدثنا جعفر بن عون عن أبي العميس . عن أبي بكر بن أبي الجهم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ . وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري الطائي ، عن أبي سعيد الخدري أنه قال : لما نزلت هذه السورة ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها فقال : «الناس خير وأنا وأصحابي خير ـ وقال ـ لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية» فقال له مروان : كذبت ؛ وعنده رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السرير ، فقال أبو سعيد : لو شاء هذان لحدثاك ، ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه . وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة . فرفع مروان عليه الدرة ليضربه فلما رأيا ذلك قالا صدق . تفرد به أحمد :

وهذا الذي أنكره مروان على أبي سعيد ليس بمنكر ، فقد ثبت من رواية ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح «لا هجرة ولكن جهاد ونية ، ولكن إذا استنفرتم فانفروا» أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر رضي الله عنهم أجمعين من أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصون أن نحمد الله ونشكره ونسبحه ، يعني نصلي له ونستغفره . معنى مليح صحيح وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثماني ركعات ، فقال قائلون : هي صلاة الضحى ، وأجيبوا بأنه لم يكن يواظب عليها فكيف صلاها ذلك اليوم ، وقد كان مسافراً لم ينو الإقامة بمكة ؟ ولهذا أقام فيها إلى آخر شهر رمضان قريباً من تسعة عشر يوماً ، يقصر الصلاة ويفطر هو وجميع الجيش ، وكانوا نحواً من عشرة آلاف ، قال هؤلاء : وإنما كانت صلاة الفتح .

قالوا : فيستحب لأمير الجيش إذا فتح بلداً أن يصلي فيه أول ما يدخله ثماني ركعات ، وهكذا فعل سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن ، ثم قال بعضهم : يصليها كلها بتسليمة واحدة ، والصحيح أنه يسلم من كل ركعتين كما ورد في سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين ، وأما ما فسر به ابن عباس وعمر رضي الله تعالى عنهما من أن هذه السورة نعي فيها إلى رسول الله ﷺ روحه الكريمة ، واعلم أنك إذا فتحت مكة وهي قريتك التي أخرجتك ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، فقد فرغ شغلنا بك في الدنيا فتهيأ للقدوم علينا والوفود إلينا ، فالآخرة خير لك من الدنيا ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، ولهذا قال ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾ .

قال النسائي أخبرنا عمرو بن منصور حدثنا محمد بن محبوب ، حدثنا أبو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ إلى آخر السورة قال : نعيت لرسول الله ﷺ نفسه حين أنزلت فأخذ في أشد ماكان اجتهاداً في أمر الآخرة ، وقال رسول الله ﷺ بعد ذلك : «جاء الفتح وجاء نصر الله وجاء أهل اليمن» فقال رجل . يارسول الله وما أهل اليمن ؟ قال : «قوم رقيقة قلوبهم لينة قلوبهم ، الإيمان يمان والحكمة يمانية والفقه يمان» وقال البخاري : حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي» يتأول القرآن وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذي من حديث منصور به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن الشعبي عن مسروق قال : قالت عائشة كان رسول الله ﷺ يكثر في آخر أمره من قوله «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه» وقال : «إن ربي كان أخبرني أني سأرى علامة في أمتي وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده واستغفره إنه كان توابا ، فقد رأيتها ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾» ورواه مسلم من طريق داود بن أبي هند به . وقال ابن جرير : حدثنا أبو السائب حدثنا حفص حدثنا عاصم عن الشعبي ، عن أم سلمة قالت كان رسول الله ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا قال : «سبحان الله وبحمده» فقلت : يارسول الله رأيتك تكثر من سبحان الله وبحمده ، لا تذهب ولا تجيء ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت : سبحان الله وبحمده قال : «إني أمرت بها ـ فقال ـ ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾» إلى آخر السورة ، غريب ، وقد كتبنا حديث كفارة المجلس من جميع طرقه وألفاظه في جزء مفرد فيكتب ههنا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ كان يكثر إذا قرأها وركع أن يقول : «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم» ثلاثاً تفرد به أحمد . ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن مرة عن شعبة عن أبي إسحاق به ، والمراد بالفتح ههنا فتح مكة قولاً واحداً ، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة يقولون إن ظهر على قومه فهو نبي ، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجاً ، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً ، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام ولله الحمد والمنة .

وقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال : لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ وكانت الأحياء تتلوم بإسلامها ، فتح مكة ، يقولون دعوه وقومه فإن ظهر عليهم فهو نبي الحديث ، وقد حررنا غزوة الفتح في كتابنا «السيرة» فمن أراده فليراجعه هناك ولله الحمد والمنة وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو إسحاق عن الأوزاعي ، حدثني أبو عمار حدثني جار لجابر بن عبد الله قال قدمت من سفر فجاءني جابر بن عبد الله فسلم عليّ ، فجعلت أحدثه عن افتراق الناس وما أحدثوا ، فجعل جابر يبكي ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الناس دخلوا في دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا» . آخر تفسير سورة النصر ، ولله الحمد والمنة .

سُورَةُ المَسَدِ

ترتيبها ١١١ — آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

قال البخاري : حدثنا محمد بن سلام ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى : «ياصباحاه» فاجتمعت إليه قريش فقال : «أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني ؟ـ قالوا : نعم ، قال : ـ فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب : ألهذا جمعتنا ؟ تباً لك ! فأنزل الله : ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ إلى آخرها وفي رواية فقام ينفض يديه وهو يقول : تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله : ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ الأول دعاء عليه والثاني خبر عنه ، فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله ﷺ ، واسمه عبد العزي بن عبد المطلب ، وكنيته أبو عتيبة وإنما سمي أبا لهب لإشراق وجهه ، وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغضة له والازدراء به والتنقص له ولدينه .

قال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن أبي العباس ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال أخبرني رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الديل وكان جاهلياً فأسلم قال : رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول : «ياأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه